راهن اللغة العربية والتحديات التي تواجهها

أ. عبد الحفيظ محمد الأمين مباركية

يعد الحديث عن اللغة العربية المتعثرة في المجتمع العربي، سابقة خطيرة ينبغي تداركها، وهي ظاهرة لم تشهدها الأوطان حتى إبّان الاحتلال الذي حاول طمس أثر اللغة العربية من ذاكرة الثقافة الإسلامية.

فاللغة العربية تعد من أقدم لغات العالم ومازالت تتمتع بخصائص ما لا تملكه لغة أخرى، ولذلك لم تكن بمنأى عن كل التطورات الحاصلة في العالم، إذ أنها بما هي لغة اجتماعية وإنسانية فقد وصلت إلى مفترق طرق إشكالوي بين ماض لا تستطيع أن تستند إليه بأمان في ظل تداعيات العصر، وحاضر لا تستطيع تلبسه بدعوى تعاطيه بفاعلية مع المد العولمي، هذا الهاجس المخيف الذي لابد أن يكون لدى مسؤولينا المبادرة الحاسمة تجاهه، للحد من زحفه على مكونات ثقافتنا وهويتنا، ولعل تعيين راهن اللغة العربية وتبيين التحديات التي تواجهها يقتضي منا الخوض في عناصر أربعة:

١ / اللغة العربية وتداعيات الموروث:

إن محاولة وضع تعريف جاد للغة العربية ليس بالأمر اليسير، فرغم تداولها وجريانها على كل الألسن، إلا أن الاختلاف في وضع تعريف محدد بين الدارسين واضح جلي، ومع ذلك نستطيع اختزالها في كونها عبارة عن نظام من الرموز الصوتية يستخدمها الإنسان بهدف التواصل.

وقد عمد فردينان دي سوسير العالم اللغوي السويسري الشهير إلى إضفاء صفة "الاجتماعية" على اللغة إضافة إلى وظيفتها الأولى كونها ناقلة للمعلومات، وبذلك فصفة الاجتماعية أيضا تتوغل في الوجود الإنساني مشكلة الهوية الفردية التي تفرض بناء الهوية الاجتماعية والإنسانية. وربما كان في رصد الدارسين والمفكرين العرب للتطور المتسارع في الساحة العالمية بصفتها الكليانية، والساحة العربية على وجه الخصوص حاسة بالحيطة والحذر، ذلك أن العولمة بالنسبة لهم موضوع شك أكثر منها موضوع بحث، وهذا ما يدفعهم إلى حضن التراث والهوية، فاللغة العربية بالنسبة لأهلها هي تلك الغنية التي صقلتها العقول والقرائح، فقعد المشتغلون بها القواعد واستنبطوا الأصول، دون أن يتناسوا حقيقة العولمة ومستغلقاتها المفهومية وما حملته من شعارات طليعية تعد بالتحديث وبناء العالم الواحد الأمثل.

وإذا عدنا إلى مقولة أن اللغة "تؤدي في تشكيل الهوية دورا أساسيا، فلقد تبين في تاريخ الثقافة أن اللغة هي أكثر أنظمة الإشارات فعالية وأكثرها قدرة على التأقلم، وأكثرها أوجها من ناحية وظائفها التواصلية التي تخدم تشكيل الهوية"١.

نجد أن بؤرتها المركزية تحيل على فكرة أن اللغة تغذي التراث، وهو بدوره يؤطر الذات ضمن لاشعور جمعي يخدم البنية الثقافية ككل متكامل، فالأجدى إذن العودة إلى موروث السلف القديم الذي غذاه نزول القرآن الكريم، فاستمد بذلك عوامل حفاظ وانتشار ولجت به العالم العربية والإسلامي بكل رحابته وسعته وقدرته على الامتداد خارج الحدود فـ "لقد انتشرت العربية عن طريق القرآن الكريم انتشارا واسعا، كما لم تنتشر أية لغة أخرى من لغات العالم، فهي لكل المسلمين اللغة الوحيدة الجائزة في العبادة، ولهذا السبب تفوقت العربية تفوقا كبيرا على كل اللغات التي يتكلمها المسلمون"٢.

فالمد العولمي المشيد بلغة الأمركة "اللغة الانجليزية" يتجاهل بالضرورة أصالة اللغات المحلية بوصفها حاملة لهويتها الثقافية، بل ويصوغ بسيلانه الجارف أحشاء صراع جلي يشرع استخدام طرق جديدة فاعلة من طرف اللغة المحلية للتواؤم مع المتغيرات الحديثة الطارئة. ولعلنا في لب هذه الفكرة بالذات نجد أنفسنا ملزمين بالتقهقر إلى فضائل الماوراء من أجل العثور على ما يؤسس فكرة "عالمية اللغة العربية" كمركز ثقافي يضارع الخطاب العولمي الغربي لذا "ينبغي أن ننظر إلى اللغة العربية على أنها إحدى اللغات العظمى في العالم اليوم، فقد استوعبت التراثين: العربي والإسلامي، كما استوعبت ما نقل إليها من تاريخ الأمم

والشعوب ذات الحضارات الضاربة في القدم: كالفارسية واليونانية والرومانية والمصرية...الخ"٣. ومن المنظور نفسه يشهد على عالمية اللغة العربية وفاعلية خطابها التراثي شاهد من عالم الشمال، ففي مقدمة كتابها الشهير (شمس العرب تسكع على الغرب) تتحدث "زيغريد هونكة" : بأن التراث العربي كان "رائدا لغيره من الشعوب في أنحاء الدنيا في غضون سبعمائة وخمسون عاما حاملا مشعل الثقافة ردحا جاور عصر الإغريق الذهبي بضعفيه أكثر من أي شعب آخر"٤.

فالخطاب العربي لم يكن حبيس أناه في الماضي، بل كان متشبعا بثقافة الحوار في تفاعل وتبادل، وهو ما ساهم في انتشار اللغة العربية التي " منذ ارتهنت بحضارة صاعدة واعدة، تجاهلت فواصل الأجناس والأديان فغلبت عليها سماحة الأخذ وبراعة العطاء ودقة التفاعل وعمق الجدل، فحاورت وتداخلت فازدادت ثراء وعمق ورحابة وإنسانية، ثم كانت لغة الترجمة التي لم تعجز عن استيعاب الدخيل والمعرب (...) كما تبدّت لغة جليلة وعظيمة في ثوب الحقائق العلمية"٥. وإذا نظرنا إلى عوالم التجربة الواقعية العصرية، نجد أن اللغة الإنجليزية على الرغم من ريادتها عالميا، إلا أن هيمنتها لا تحدث بالضرورة على حساب اللغات الأخرى، وبالتالي فتصنيف اللغات إلى لغات قزمة، وأخرى عملاقة لا يملك شرعية الطرح، فمقياس الأمر وراهنيته في ريادة اللغة الإنجليزية في عصرنا الحالي هو مدى تركيزها وفاعليتها في المجال التكنولوجي والاتصالاتي على وجه الخصوص فـ "ما تتميز به هيمنة اللغة الانجليزية في الحداثة هو توسيع وظائف معينة ذات أهمية مركزية بالنسبة للاتصالات العالمية، إن الانجليزية لغة مهيمنة على نطاق عالمي إذا ما جعلنا حجم بنوك البيانات الحديثة الموجودة بهذه اللغة يؤثر علينا"٦.

يبقى الخيط الذي يربط هذه الأفكار أن فاعلية اللغة العربية ومدى قدرتها على الوفاء بمتطلبات عصرها خاصة في شقها العصري والاتصالي حاضرة وبقوة، فـ " اللغة العربية لغة مرنة طيّعة، فيها الأسلوب الأدبي والإنساني ذو الدلالة الواسعة، وفيها الأسلوب العلمي ذو الدلالة المحددة الصارمة"٧.

فالوعي إذا بمكون ميراثنا الحضاري يكشف لنا عن قدرة اللغة العربية على ميراث وتوريث ثقافتها القومية السالفة، فهي تحتوي في ذاتها على بذرة عالميتها سيرا لإمكان مواكبة عصرها دون تلقّف جديد الغيرية ذي المرجعيات الابستيمية المغايرة لخطاب الأنا.

إن في اللغة العربية ما يخوّلها لإنتاج خطاب نهضوي قائم على جينيالوجيتها الخاصة في إنتاج الأساليب العلمية لمواكبة عصرها، ولا غرابة في ذلك فهي الولادة الاشتقاقية، غزيرة الدلالة، استبدالية المبنى والمعنى متقبلة جديد الآخر ترجمة وتعريبا ونحتا.

٢ / واقع اللغة العربية وأسباب ضعفها وهجرها:

إن الناظر في حال اللغة العربية اليوم في مجتمعات البلاد العربية والإسلامية، يشعرنا بألم عميق وحسرة شديدة، لكونها لا تحظى بما تستحقه من احترام، وليست عندهم في المكان اللائق والموضع المناسب، ومؤلم جدا أن تكون هذه النظرة وذلك الموقف من أحبائها لا من أعدائها، إن أخطر ما يوجهه أبناء اللغة العربية لها: العقوق والتنكر أو التجاهل واللامبالاة.

فاللغة العربية تتعرض لألوان من الهجر والإقصاء والمضايقة والتشويه من أكثر أبنائها، وفي عقر دارها ويتمثل ذلك في الآتي:

١/ محاصرة هذه اللغة بلهجات تحتكر عنها نبض الحياة اليومية لأبنائها، من جهة، ومحاصرتها بلغات أجنبية منتجة للحضارة الحديثة تحتكر عنها مجال العلم والتكنولوجيا وتسمية أشيائهما الجديدة من جهة أخرى، بما يشتت وجود أبنائها بين:

أ/ لغة فصحى: تفرضها الهوية والانتماء الديني والقومي وامتلاك الموروث الثقافي للأمة، والتفرد عن اللهجات بكل ما هو مكتوب ومقروء.

ب/ لهجات فرعية: تحتكر التخاطب ونبض الحياة، لكنها غير مكتوبة، وغائبة عن الموروث الثقافي وعن ميدان العلم الحديث.

ج/ لغة أجنبية: تسيطر على ما هو جديد في العلم والتكنولوجيا، فلا يكاد يصل منه إلى اللغة العربية إلا ما مر عبر صمام الترجمة، ولكنها غائبة أو تكاد عن التخاطب ونبض الحياة، وعن الموروث الذي يشكل مرجع الفهم والاستيعاب لدى أبناء اللغة العربية.

٢/ إن لغة المستعمر للبلاد الإسلامية هي لغة الشعوب المسلمة في تلك البلاد في أكثر دول إفريقيا وآسيا وترى القليل

من المسلمين يحسن اللغة العربية ويعرف لها قدرها، أما البقية فلا يحسنون إلا لغة المستعمر.

٣/ إن اللغة الأجنبية هي لغة التعليم الجامعي في الأقسام العلمية في كثير من جامعاتنا، بل في جامعات الدول العربية، فالطب والهندسة والعلوم وغيرها من العلوم التجريبية كلها لا تدرس إلا باللغة الأجنبية، مع قدرة اللغة العربية وسعتها.

٤/ إن من المؤسف أن تكون اللغة السائدة في المراكز الصحية والمستشفيات وكذلك في الفنادق هي اللغة الأجنبية، مع أن غالبية الأطباء والعاملين في تلك المؤسسات والمواقع من العرب.

٥/ إن مظاهر الغزو الأجنبي ذلك الكم الهائل من المفردات التي تسللت إلى اللغة العربية في حين غفلة من أهلها، فلا تكاد تستمع إلى متحدث إلا وتجد في ثنايا حديثه بعض تلك الكلمات، وبخاصة المثقفين غير مدركين خطورة هذا الوضع.

٦/ ومن مظاهر هجر الفصحى وغربتها تلك النظرة المتميزة لمن يتكلم أيا من اللغات الأجنبية وبخاصة الإنجليزية، في الوقت الذي يجد فيه من يحاول التحدث بالفصحى شيئا من الاستهزاء والسخرية من المجتمع الذي يعيش فيه.

٧/ إن من مظاهر غربة اللغة العربية وقلة الاهتمام بها الاحتفاء بالآداب الشعبية والأشعار العامية، فترى الصحف تتسابق في خدمة هذا النوع من الآداب ونشره والتشجيع عليه، وهذا بلا شك دليل على ضعف المستوى التذوقي عند بعض أفراد الأمة.

"ومن مظاهر هجر اللغة العربية صعوبات ذاتية بهذه اللغة مثل: إهمال كتابة الصوائت وتعقيد نظامها النحوي وابتعادها عن لغة التخاطب والحياة اليومية، وغيابها الكلي أو الجزئي كلغة عمل. وبناءً على ما مر فلابد من إيجاد الحلول المناسبة، بإعداد تربوي إلى جانب الشهادة الجامعية، فإعداد المعلم الجيد لأساليب التدريس، التي يجب أن توضع مراعية لأساليب علم التربية وعلم النفس، ومناسبة لحقائق اللغة العربية ذاتها، وقدرات التلاميذ في تقبلها، والترفيع التلقائي الذي درجت عليه وزارات التربية والتعليم العربية على العمل به في الصفوف الابتدائية الدنيا، سبب في جعل التلاميذ يصلون إلى المراحل العليا وهم ضعاف في اللغة وغيرها من الدروس"٨.

أما الخطر على اللغة العربية فيأتي من تهميشها تدريجيا (مع الزمن)، لقصورها على أن تكون ـ كما يدعي البعض ـ لغة عمل وتواصل على جميع الأصعدة، بدءً بالنشر العلمي وتبادل الخبرات التكنولوجية، مرورا بالتعليم العالي والتجارة والصناعة وغيرها، وصولا إلى التعليم وخاصة الأساسي منه، وهذا قد يؤدي إلى ضمور اللغة واستخدامها في مجالات تقليدية محدودة.

٣/ التحديات التي تواجهها اللغة العربية في العصر الحاضر والحلول المقترحة لذلك:

٣.١ : التحديات:

من التحديات التي تواجهها اللغة العربية اليوم ما يأتي:

أ/ الدعوة إلى إلغاء قواعد النحو وتسكين أواخر الكلمات: هذه الدعوة ليست مرفوضة فقط، ولكنها لا تنسجم مع أبسط قواعد منطق اللغة، فلو قلت: هنأ المعلم المدير...لم يعرف السامع والقارئ بالتسكين أيهما الفاعل من المفعول، إضافة إلى وجوه قراءتها المختلفة، إذا بنينا الفعل للمجهول وهكذا في أمثلة كثيرة من اللغة، كما أن اللغة لها خصوصية أخرى وهي التحريك عند التقاء الساكنين حتى لو خالف ذلك قاعدة نحوية.

ب/ الدعوة إلى إحلال العامية محل الفصحى: ومن الغريب أن من يدعو لذلك هم من أبرز الكتاب وأشهرهم والأولى أن المطالب بذلك من لا يعرف الفصحى والعوام والأقل ثقافة، أما أصحاب البلاغة والبيان والفصاحة في كتاباتهم واستخداماتهم الأساليب اللغوية الرفيعة في إقناعنا بآرائهم فهذه قمة التناقض.

ج/ كثرة الترادف الفوضوي في اللغة العربية: وعلى سبيل المثال فللسبع مائة اسم، وفي الحقيقة أن هذا الادعاء غير صحيح فكل اسم أو مفردة يعبر بها عن نوع خاص، ولو استقصيت ذلك في أي معجم عربي ستجد الفروق الدقيقة بين هذه المسميات، وهذا دليل قوة على اللغة العربية وليس مأخذا عليها، فالسبع ليس الأسد والأسد ليس الضرغام...

د/ استبعاد اللغة العربية من العملية التعليمية في التدريس الجامعي والتدريس في المدارس الخاصة: فقد شكلت اللغات الأخرى التي يتعلمها

الطفل وخاصة في المراحل العمرية الأولى من الصف الأول الأساسي وحتى الصف الرابع خطرا حقيقيا على تعلم اللغة الأم وإتقانها، والطالب بهذا التلقي للغة جديدة وتداخل نظامين لغويين في عقله وتفكيره، وما يفرضه ذلك من اختلاف في التعامل الكتابي لكل لغة وخاصة فيما يتصل باللغة العربية واللغة الانجليزية على سبيل المثال، سيجعل الطال متأثرا سلبيا في إتقان اللغتين معا، مما يولد جيلا ضعيفا لغويا في المهارات الأربع التي تطمح كل لغة أن توجدها عند المتعاملين بها (القراءة، الكتابة، المحادثة والاستماع) ويزداد هذا الخطر كلما تقدم الطالب في مراحله التعليمية، لتحل اللغات الأجنبية محل اللغة العربية في التعليم الجامعي، فتنبت الصلة بين المتعلم ولغته القومية، ويصبح تابعا ثقافيا وحضاريا لغيره.

٣.٢ / الحلول المقترحة:

١. اهتمام المدارس والجامعات بالواقع اللغوي، والتركيز على ممارسة اللغة في قاعات الدرس وابتعاد المعلمين والمحاضرين عن استخدام اللهجات العامية.
٢. اعتماد الجامعات مسافات متعددة في اللغة العربية، لتكون مطلبا إجباريا لكل الدارسين، ويراعى فيها أن تكون خادمة للمهارات الأساسية والحياتية للغة الفصيحة ودعمها بأنشطة علمية.
٣. تخصيص مسابقة للعاملين في حقول التدريس الجامعي والمدارس لتطوير آليات اعتماد اللغة الفصيحة كلغة خطاب يومي.
٤. مكافحة القنوات الإعلامية التي تعتمد العامية لغة في الخطاب وإعداد البرامج لتأهيل العاملين من أجل التخلص من هذه الآفة المدمرة.
٥. تشجيع عادة القراءة لدى الشعوب، وخاصة الناشئة ومراقبة برامج الأطفال التي تعتمد اللغة العامية ومنعها كلية.
٦. ربط الناشئة بالقرآن الكريم، كونه المانعة الوحيدة العقدية التي تجعل الناس يقبلون على قراءة القرآن وتمثل لغته في الحديث، وضرب الأمثلة من واقع الكتّاب حتى من غير المسلمين الذين أقبلوا على قراءة القرآن الكريم لتحسين أداء العربية في كتاباتهم وأحاديثهم.
٧. مكافحة الدول لكل مظاهر عبرنة أو نجلزة أو فرنسة اليافطات المكتوبة كواجهات للمحلات التجارية والمصانع والشركات، وعدم منح التراخيص اللازمة، إلا بعد تعريبها بالكامل.
٨. اعتماد الدولة اللغة العربية في مراسلاتها الخارجية والداخلية، وإلزام سفرائها والمتحدثين باسمها اللغة الفصيحة في اللقاءات الدولية والمؤتمرات الصحفية أو التوقيع على المعاهدات والاتفاقات التجارية.
٩. مراقبة المواقع والمنتديات الإلكترونية، وعمل التوعية الضرورية لاستخدام اللغة السليمة، وليكن هناك نوع من الرقابة الذاتية، لرفض استخدام التعليق على الموضوعات إلا باللغة الفصيحة، وتجنب الحديث بالعامية أو اللغات الأجنبية.
١٠. تقديم الكتب التراثية بلغة مبسطة وبالاعتماد على التقنيات الحديثة.
١١. الاهتمام بالأطفال اهتمام من يحرص على المستقبل، فتكون خطة عمل طموحة وجريئة تستهدفهم بمجموعة أنشطة معدة جيدا.
١٢. منع وزارات التربية والتعليم تعلم لغة ثانية في مدارسها، إلا بعد المرحلة التمكينية للمهارات اللغوية للغة الأم، وهذا عادة كما يقرر بعض التربويون يكون ممكنا ومسموحا به من الصف الخامس الأساسي وما بعده.
١٣. تعريب التعليم الجامعي في التخصصات كافة، والاستفادة من التجارب الناجحة ووضع خطة على مستوى العالم العربي لاتخاذ إجراءات عملية، وبخطة واضحة الإطار الزمني للانتقال من التدريس الجامعي باللغات الأجنبية إلى اللغة العربية.
١٤. إحياء حركة تعريب وترجمة شاملة لكل العلوم والمعارف والمؤلفات الجديدة والمفيدة لتكون عونا وبديلا عن المراجع الأجنبية٩.

٤ / مستقبل اللغة العربية في ظل تحديات العولمة:

إن القضايا التي تواجهها اللغة العربية في العصر الحديث هي قضايا طارئة تفرضها متطلبات العصر من ناحية، وقرون التراجع الحضاري التي مرت بها أمتنا في مسارها التاريخي من ناحية أخرى، وليست قضايا لغة تواجه استيعاب ما وصلت إليه المعارف الإنسانية

في أول تجربة لها، فقد اجتازت العربية هذه التجربة في تاريخها الطويل عندما كانت اللغة الأولى للعلم والفكر في العالم أجمع ولعدة قرون.

فكما للغات الأمم قضاياها فإن للغة العربية قضاياها أيضا، وليست متفردة بذلك من دون اللغات، بل ربما كانت قضاياها أقل عسرا للمعالجة، إذا ما صدقت النوايا وتوافرت الإرادة في خدمة العربية، وإنماء الاعتزاز بها والإيمان بقراراتها، ووضع لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في مكانة الشرف والاحترام الذي تستحقه١٠.

وتواجه لغتنا العربية قضايا مهمة في هذا العصر الذي يتصف بتفجر المعرفة في جميع مجالاتها، ويتميز بهذا التسارع الضخم في تطور العلوم على الأرض، وفي الفضاء الخارجي، وإن هذه القضايا تتعلق بتيسير تعليم العربية ولا تمس إطلاقا إعرابها، وصرفها ونظم تراكيبها، لأن هذه الثوابت التي من دونها تفقد اللغة مقوماتها الأصلية، فالعربية ثابتة من حيث نظمها ونحوها وصرفها، ولكنها نامية من حيث أساليبها ومفرداتها ودلالات ألفاظها، وهذه بعض الخصائص التي تتفرد بها اللغة العربية من بين جميع اللغات في العالم١١.

يقول عبد الله الطيب: "لابد من العمل على إعادة اللغة العربية إلى بعض ما كان لها من مكانة في حفظ الثقافة والعزة القومية والمعارف الإسلامية بإعادة النظر في أمر تعليمها تعليما صحيحا ييسر تعرض التفهيم، لا بغرض تجاوز العزائم إلى الرخص، والرخص إلى اللحن، واللحن إلى العُجمة وشبه العُجمة، ولا يكون التعريب الحق باستخدام ألفاظ أعجمية وجمل أعجمية ونصوص أعجمية، حروفها وبعض نطقها وتركيبها كأنه عربي، إنما يكون التعريب الحق بأداء عربي الروح، عربي الأسلوب مبين"١٢ وبذلك ترتقي باللغة العربية إلى المستوى الذي نتمكن فيه من التعامل الإيجابي مع تحديات العولمة في الحاضر وفي المستقبل.

إن أخطر المشاكل وأعمقها وأكبر العقبات والتحديات التي تواجه العربية في حاضرها ومستقبلها وأشدها صعوبة واستعصاء على الحل، هي الآتية من خارج اللغة لا من داخلها (أي ليست نابعة من طبيعة هذه اللغة أو بنيتها ونظامها الخاص). والخارجة عنها هي بدورها إما نابعة من داخل المجتمع، كتفريط أهل اللغة في لغتهم وتقصيرهم في تعلمها وتعليمها، وضعف مستوى تحصيلها أو ما يحصل منها (بسبب ضعف التعليم عموما أو ضعف الحصص المخصصة لها في برامج التعليم، أو ضعف تكوين مدرسيها، أو ضعف مناهج تدريسها وطرقها ووسائلها...أو لغير ذلك من الأسباب التي يطول شرحها)، والتقصير في بذل الأموال العامة والخاصة في سبيل ذلك وغيره من الوجوه التي تعود بالنفع على العربية، كالإنفاق على البحوث العلمية النظرية والتطبيقية التي تخدمها وتطورها وتيسر طرق تدريسها واستعمالها. وهناك من الأسباب الخارجية ما هو مفروض عليها وعلى المجتمع المستعمل لها، كالغزو اللغوي والثقافي، وتحديات العولمة، والظروف الاقتصادية والسياسية العالمية التي ليست في صالحها بقدر ما هي في صالح اللغات التي يتحكم أصحابها في اقتصاد العالم وسياسته وفي التكنولوجيا والإعلام ووسائل الاتصال.

وإجمالا لما سبق الخوض فيه من المشاكل ونواحي الضعف التي تعاني منها العربية في المرحلة الراهنة يمكن القول أن: أشد الأخطاء فتكا باللغة العربية، وأشد ما يخشى منه على مصيرها ومستقبلها إذا ظل الوضع على ما هو عليه، هو المتمثل في الثلاثي الذي يمكن أن نسميه بثلاثي الموت وهو:

١. التعددية اللسانية المفروضة وآفاتها
٢. الازدواجية اللسانية وخطر العاميات على الفصحى
٣. تفريط أهل اللغة في لغتهم

من خلال ما سبق يتلخص أن العربية بصفة مجملة ومن الناحية الكمية على الأقل، آخذة في التوسع لا في التراجع، عكس ما يعتقد الكثيرون لكن توسعها هذا يحمل في طياته عددا من المخاطر والتحديات التي قد يكون فيها هلاكها وتفتتها وتلوثها وانقسامها إذا لم يبادر أهلها لتدارك الموقف قبل فوات الأوان، فالتوسع الذي تشهده العربية تطغى فيه اللهجات على الفصحى من جهة، وتتدخل فيه اللغات الأجنبية القوية التأثير فتتغلب عليها وتخضعها لتأثيراتها السلبية من جهة ثانية، وكل ذلك يجري بطريقة عشوائية من غير ما تخطيط أو تدبير أو اهتمام تستحقه من أهلها وأصحابها.

إن اللغة العربية هي الأساس الروحي والفكري الذي تشاد عليه نهضة الأمة العربية ووحدتها، وهي لغة حية قوية ذات قدرة فائقة على استيعاب ما يجد من معطيات الحضارة الحديثة وإنجازاتها. واللغة العربية لا تتحمل مسؤولية تباطؤ

الأمة العربية في اللحاق بركب التطور العلمي المعاصر، بل أبناء الأمة والناطقون بها هم المسؤولون عن ذلك.

ومعالجة القضايا التي تعوق مسيرة اللغة تقع على كاهل الأمة العربية، لذا يجب على العاملين المخلصين من أصحابها أن ينهجوا سياسة لغوية واضحة الهدف تسهم في تنفيذها المؤسسات اللغوية والإعلامية والتعليمية وفق تخطيط علمي شامل، وبرمجة دقيقة لتنظيم جهود هذه المؤسسات على المستويين: القطري والقومي ولضمان نجاح هذه الجهود يجب على الجهات الرسمية والمؤسسات الأهلية في الوطن العربي أن تتخذ القرارات السياسية الجريئة، كي تنطلق الدراسات اللغوية من دائرة التنظير والمحاكمة، إلى حيز التطبيق والممارسة.

فاللغة تقوى بقوة أهلها وتضعف بضعفهم، ولذا يجب أن تكون لها السيادة في جميع المواقع من خلال نشر الوعي بأهمية اللغة وتفعيل دورها.

الهوامش:

١. هارالد هارمان: تاريخ اللغات ومستقبلها، تر: سامي شمعون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، ط ١، ٢٠٠٦، ص ٤٥.

٢. علي أحمد مدكور: تدريس فنون اللغة العربية ـ النظرية والتطبيق، دار المسيرة، عمان/ الأردن، ط ١، ٢٠٠٩، ص ٥٠.

٣. المرجع نفسه، ص ن.

٤. زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون و كمال دسوقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت/ لبنان، ط ٨، ١٩٩٣، ص ٢٣.

٤. رشدي أحمد طعيمة، محمود كمال الناقة: اللغة العربية والتفاهم العالمي ـ المبادئ والآليات ـ دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، ط ١، ٢٠٠٩، ص ٢٣.

٤. هارالد هارمان: تاريخ اللغات ومستقبلها، ص ٣١.

٥. علي أحمد مذكور: تدريس فنون اللغة العربية، ص ٥١.

٦. هارالد هارمان: تاريخ اللغات ومستقبلها، ص ٣٢.

٧. علي أحمد مدكور: تدريس فنون اللغة العربية،ص ٥٣.

٨. مهين حاجي زادة: تحديات اللغة العربية في عصر العولمة، مجلة الرافد، ع ٨٥، ص ٨.

٩. ينظر: عدلي الهواري: الأخطار التي تواجه اللغة العربية وسبل مواجهتها، المجلة الثقافية الشهرية، ع ٦٤، ٢٠٠٦.

١٠. عبد الكريم خليفة: العربية لغة البحث العلمي والتعليم الجامعي على مدرج القرن الواحد والعشرين، ضمن كتاب (قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٩٣، ص ٣٦٣.

١١. المرجع نفسه: ص ٢٦٤.

١٢. عبد الله الطيب: مشكلة الأداء في اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٧٣، ج ٣، يوليو ١٩٩٨، ص ٥٣٧.